تأملات في شأن الموت والحياة في القرآن الكريم

د. أمجد محمد إدريس

نظرات في آيات القرآن في مفهوم الموت والحياة

سيظل مفهوم الموت والحياة أحد أهم أسرار خلق الإنسان التي قدرها الله عز وجل بتقديره في شأن الإنسان وغيره من المخلوقات الحي منها مما نعلم وكذلك مما لا نعلم. بل سنجد أن مفهوم الموت بعد الحياة ثم الحياة بعد الموت ظل في صميم الحوار حول حقيقة الإيمان بقدرة الله عز وجل وبالحكمة من الوجود في أساسه، وظلت الأسئلة مستمرة في هذا الأمر منذ أن خلق الله عز وجل الإنسان الأول مروراً بمسيرة الكون منذ ذلك الوقت وإلى يومنا هذا بل ونظن أن الحال سيستمر كذلك حتى موعد قيام الساعة. وحسب يقيننا كمؤمنين بالله فإننا نقول إن الحكمة من الوجود هي (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) سورة الذاريات) وأما الحكمة من الموت والحياة فقدت وردت في الآية (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2) سورة الملك). ولهذا السبب لعلنا نود أن نتوقف قليلاً مع معاني الموت والحياة والمعاني المرتبطة بهما في سياق ذكرهما في القرآن الكريم، وهو أمر مهم بلا شك. القرآن الكريم يذخر بالكثير من الآيات والمعاني التي تناولت حقيقة الموت والحياة وبمختلف المحاور التي تمكننا من إمساك ببداية الخيط لفهم هذا الجانب من خلق الإنسان، **فقد تكرر ذكر كلمة (الحياة) في القرآن الكريم (145) مرة وبنفس العدد تكرر ذكر كلمة (الموت).**

لعلنا نود في البدء أن نشير إلى حقيقة مهمة سينبني عليها أغلب التحليل الذي بين يديك عزيزي القارئ، وهي حقيقة أن الأصل في الدنيا والآخرة هي أن الله هو الحي الذي لا يموت، ففي هذا المعنى مبتدأ معرفة المعاني المرتبطة مع مفهوم الموت والحياة بشكل عام. يقول الله عز وجل في محكم التنزيل (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (58) سورة الفرقان)، كما يقول الله عز وجل في آية أخرى (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (57) سورة العنكبوت). كلنا نعلم أن أصل الكون كان العدم ولم يكن إلا الله عز وجل، بل وستعود الحال كذلك في نهاية هذا الكون (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) سورة الرحمن). والعالم بحقيقة الله عز وجل والعارف والموقن بذلك سيدرك أن أصل الحياة في

هذا الكون هو الموت الذي قدره الله علينا في سياق يقدره الله عز وجل بعلمه، فقال رب العزة (نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (61) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (62) سورة الواقعة). هذه الآيات مهمة للغاية في فهم حقيقة الموت. فقد قيل إن الموت الذي قدره الله عز وجل بحكمته هو بالأساس دليل على عظمته عز وجل وعلى قدرته في شأن خلقه، بل هو دليل علي قوته عز وجل وذلة كل مخلوقاته. حقيقة أن الله عز وجل هو الحي الذي لا يموت تنفي ندية من هم دون الله له سبحانه وتعالى وتقتضي في ذات الوقت أن يكون الخلق في الأساس هم أموات ثم يمن الله عز وجل عليهم فيخلقهم ثم يحيهم ثم يجعلهم يعيشون ويختبرون هذه الحياة ثم يميتهم (أو يجعلهم يختبرون الموت) وكل ذلك في سياق هدفه الوعي بمفهوم العبودية التي تقتضي الشكر لله علي نعمة الحياة وهي نعمة معناها واضح بالضرورة، وكذلك بنعمة الموت والتي هي نعمة من خالقك عليك إذ تذكرك بنعمة الحياة فتشكر الله عليها. ثم نعود للآية من سورة الملك مرة أخرى (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2))، حيث أننا سنجد أن هذه الآية قد قدمت كذلك تفاعل الموت والحياة ضمن سياق العبادة.

ولعلنا نبدأ القول بأنه سيكون من الأهمية بمكان في هذا السعي أن نجرد الموت والحياة في هذا المقام من ارتباطهما بما يحدث قبلهما أو بعدهما، بحيث نتوقف فقط مع حالتي الموت والحياة كظواهر، وهو ما سنفعله في هذا التحليل الذي بين أيديكم ما أمكننا وذلك من الصعوبة بمكان. وتأتي أهمية هذا الفصل حتى نتمكن من محاولة فهم المعاني المطلقة لهذين "الحدثين" في سياق خلق الإنسان. السعي الذي بين يديك عزيزي القارئ يسعى إلى تحصيل فهم للموت والحياة في عدة محاور. فالقرآن الكريم حوى العديد من المعاني المختلفة لمفهوم الموت والحياة بشكل عام وكذلك فيما يلي موت الإنسان وحياته. وسنبدأ تحليلنا مع هذه المعاني علها تساعدنا في فهم هذا الجانب كمحور أول في هذا التحليل. أضافة إلى ذلك سنجد أن القرآن الكريم قد وردت فيه العديد من التشبيهات التي قدمت لنا صور تساعدنا في فهم طبيعة الموت والحياة. ولعنا نود أن نحيط ببعض من هذه المعاني لما قد يساعدنا في فهم هذا الجانب من خلق الإنسان والمخلوقات بشكل عام.

العلاقة بين الموت والحياة ظلت في صميم معاني القرآن الكريم التي تناولت قضية الموت، حيث أن هناك الكثير من الآيات القرآنية التي قدمت لنا شكل العلاقة بين الموت والحياة وارتباطها بالخلق

والبعث والحياة الآخرة. هذا المحور هو مضمون من الأهمية بمكان للإنسان المؤمن أن يعيه ويدركه ويعمل في هذه الدنيا على أساسه. ثم هناك سؤال ملح في علاقة الموت والحياة، فهل الموت يحدث مرة واحدة أم أنها عدة مرات أم أنها عدد غير محدود؟ فعل سبيل المثال يقول الله عز وجل (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243) سورة البقرة). الآية تجعلنا نفكر حول قضية مهمة أن الله عز وجل يتصرف في خلقه كيف يشاء بقضاء الموت والحياة كما ذكرنا سابقاً، وقد لا يكون لنا علماً بمن يموت أو يحي لو لم يقص الله عز وجل علينا حالهم، كمثل حال هؤلاء الذين أتت على ذكرهم الآيات (مع اختلاف التفاسير حولهم ومن يكونون) لكن الشاهد يدل على أن إماتة الناس وإحيائهم هو في يد الله عز وجل. سنحاول تناول هذا الجانب لاحقاً بإذن الله. وكذلك في قول الله عز وجل (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (50) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (52) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (53) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (54) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (56) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (57) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (58) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (59) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (60) سورة الصافات). فهذه الآيات تعكس الحوار الدائم الوجود حول هذا الجانب المهم في يقيننا كمؤمنين. تراتبية الموت والحياة في القرآن الكريم هي من صميم القضايا التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وهذا هو موضوع المحور الرابع الذي سنتطرق له. وكنا قد تناولنا هذا الجانب في عجالة سابقاً، فقد يلاحظ المتدبر في آيات القرآن أن هناك بعض الآيات قدمت الموت على الحياة والبعض الآخر عكس هذا الترتيب، وهو ما قد يدفعنا في البحث حول الإجابة عن السؤال (الموت والحياة أيهما أولاً؟، وما هو الفرق الذي يحدثه ذلك في فهمنا لمعاني الموت والحياة؟). وقد يكون ذلك مرتبطاً بشكل أو بآخر بما ورد في القرآن الكريم حول مراحل الموت كحدث يحدث أو كحالة تمر على الإنسان ضمن منظومة خلقه، هذا ما سنحاول التطرق له بشيء من التحليل في هذا المقام.

كذلك سنجد أن كثير من الآيات وردت حول ذكر الموت والحياة في سياق الكفر والإيمان. لعل هذا الجانب في توضيح القرآن الكريم لعلاقة الموت والحياة في سياق الكفر والإيمان هو ليس بالموضوع الجديد، إذ تعرض له عدد من العلماء بالتحليل والتفسير، وقد رأينا أن نقوم ببعض التذكير في هذا المقام، فالذكرى تنفع المؤمنين. ومما لا شك فيه أن الكافر يعيش حياة لا حياة فيها بالتأكيد أما حال

المؤمن فيختلف تماماً، فحياته ملئها الحياة، وكفى بالقرآن سبباً للحياة. يقول الله عز وجل (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21) سورة الجاثية)، ومثل هذه الآية عدد اخر من الآيات.

كيف يحي الله الموتى؟ لقد ظل هذا السؤال ضمن الحوار المستمر بين الناس والرسل، بل ظل التشكيك في حدوث عملية الإحياء في صميم أسباب كفر الكثير من الناس بالرسالات السماوية، حيث أن الكثير من العقول لا تستطيع تخيل هذه العملية من المنظور العقلي المحدود للبشر، بل أن المؤمنين أنفسهم قد يكونون مصدراً لهذا التساؤل. قال الله عز وجل (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259) سورة البقرة).

حال الرسل والأنبياء مع الموت من المحاور التي قدمها لنا القرآن الكريم في عدة مواضع، فعلى سبيل المثال يقول الله عز وجل (وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49) سورة آل عمران)، وغير ذلك الكثير من الآيات. وهكذا ستجد عزيزي القارئ أننا سنقوم بالمرور علي عدد كبير من المحاور المرتبطة بالموت والحياة وذكرهما في القرآن الكريم، وسنحاول في كل هذه المحاول السعي لطرح بعض الأسئلة التي تدور في أذهان الكثير من الناس، ومن ثم تقديم بعض الآيات التي قد ترد على هذه التساؤلات ومحاولة مناقشة هذه الأسئلة ضمن كل محور من المحاور التي ذكرناها سابقاً.

بالتفحص التام في معاني الموت والحياة في القرآن الكريم لعلنا إطمئننا إلى حقيقة وخلاصة مهمة للغاية آلا وهي أن الموت ليس هو الوفاة كما جرت العادة بالقول عند الناس. لعلنا لا نود الولوج في تفاصيل المعاني اللغوية للكلمتين وما هي أوجه الاختلاف والتشابه بينهما في هذا الجانب، لكن من واقع فهمنا الذي قد يكون قاصراً وهو كذلك من حيث المبدأ، فنقول إن الوفاة هي بلا شك سبيل إلى

الموت ولا يكتمل حدوث الموت وتحقيقه إلا من خلالها، فالمتوفى بلا شك هو في النهاية ميت، لكن يرتبط ذلك بانقضاء الاجل أو استيفاء الأجل وهذه هي نقطة ربط مفهوم الوفاة بالموت. الوفاة هي ما يمكن أن نسميه مرحلة من مراحل الموت أو يمكن القول إنها صفة لما يحدث مباشرة قبل الموت.

ولعنا لا نود الإسهاب الآن في التفاصيل التي سنتعرض لها لاحقاً، لكن وددنا أن نشير إلى هذا الجانب الآن علك تركز معنا عزيزي القارئ في تقصي هذا المفهوم لاحقاً.

عوامل وقوع حالة الموت

كما ذكرنا من قبل سنجد أنه من المهم أن نفصل الموت أو الحياة كظاهرة أو حالة من أي سياق مرتبط بها حتى يمكننا ذلك من فهم ما هو الموت أو ما هي الحياة. ولعنا قد نود أن نبدأ بالمحاولة في فهم الموت باعتباره أكثر الظاهرتين استعصاءً على الفهم والتقدير. لكن قبل ذلك سنجد أن المتدبر في آيات القرآن سيلاحظ مباشرة أن تناول الموت والحياة دائماً يرتبط بسياق معين، فاختلاف معاني الموت والحياة والتشبيهات المختلفة تعطي في كل مرة وصف مختلف لحالة انتقال المخلوق ما بين الحياة والموت، هذا الاختلاف في المعاني يرتبط باختلاف ما يمكن أن نطلق عليه السياق، واختلاف السياق يعطي في كل مرة معنى مختلف لمفهوم الموت والحياة. والسياق هو حالة تحددها عدة عوامل مجتمعة، هذه العوامل قدمها القرآن الكريم في عدد من الآيات المتنوعة. هذه العوامل هي المكان -الزمان –الفاعل والمسبب -المفعول به -والفعل. كل هذه العوامل مجتمعة هي ما تحدد حدوث حالة الموت أو الحياة وبالتالي مرور الإنسان بمراحل الموت أو مراحل الحياة المختلفة كما سنفسر ذلك لاحقاً. لكن دعونا أولاً نتناول معاً الآيات التي ذكرت لنا عوامل السياق لحالتي الموت أو الحياة، بالتركيز على الموت لبروز عوامله بوضوح في القرآن الكريم.

1. المكان:

المكان الذي تحدث فيه حالة الموت هو من أبرز العوامل التي تحدد وقوع الموت بالفعل، وهي من الجوانب التي خص الله عز وجل ذاته العلية بمعرفتها دون سواه من خلقه، ووقوع الموت يرتبط بوصول الإنسان إلى المقام أو الميقات المكاني لسياق الموت ودونه فلا تحدث حالة الموت. يقول الله عز وجل في ذلك (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (34) سورة لقمان). هذا العامل هو من الأمور التي تجعل الموت أمراً في علم غيب الله. فكثيراً ما نجد أن أسباب الموت قد تقع جميعها لشخص ما مثل مرض أو حادث سيارة أو غيرهما في مكان ما، لكن تجد ذلك الشخص لا يموت في مكان وقوع الأسباب ويظل في حالة "وفاة" لكنه لا يموت حتى يصل إلى نقطة معينة من الأرض يعلمها الله بحكمته فإذا بذلك الشخص يموت. بل سنجد أن الإنسان منذ خلقه وبث الحياة في جسده (حيث سنتناول ذلك لاحقاً) سنجده في حالة سباق دائم وفرار مستمر من الموت (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ

الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8) سورة الجمعة)، لكن سنة الله في الأرض جعلت الموت حق وحقيقة وقدر الله للموت أن يلحق بنا حيثما كنا (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78) سورة النساء). المكان عامل مهم في تحقيق وقوع الموت، وعدم معرفة المكان تجعل المؤمن يتوقع الموت في كل مكان، فقد تكون بين أحبابك وأسرتك في منزلك، وقد تكون في الطريق وحدك وأنت تمشى راجلاً أو في سيارة، وقد تكون في بلداً اخر مسافرا، وقد تكون وقد تكون. ولنا في قصة الذين خرجوا من ديارهم خوف الطاعون والموت آية وعظة، فخروجهم من أرض الموت حسب ظنهم لا يعني بالضرورة أنك لن تقابل الموت، قال الله عز وجل (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243) سورة البقرة). عامل المكان هو بالضرورة مرتبط ببقية العوامل، وهذا هو تقدير العزيز العليم، وسنتناول هذا ببعض الأمثلة لاحقاً.

2. الزمان:

كنا قد قلنا سابقاً أن الموت ليس هو الوفاة، وأن الوفاة تعني وفاة الأجل أي استيفائه من حيث تمام عدد العمر بمقياس الزمان سواء السنين أو الأيام، أو حتى بالساعات كما في حالة الأطفال حديثي الولادة أو الذين لم يولدوا بعد. والوفاة في العادة هي مرحلة من مراحل الموت كما سنذكر ذلك لاحقاً، وقد يظل الإنسان في حالة وفاة ولكنه ليس بميت، بل يجب أن تكتمل كافة العوامل الأخرى ليقع موت ذلك الإنسان. واستمرار حالة الوفاة هي في علم الله وتقديره لا يعلمها إلا هو فهي تبدأ بحالة من بداية خروج الروح وتنتهي بعملية خروج الروح والتي يتحقق بها حدوث حالة الموت. اكتمال الأجل هو نقطة في الزمان المطلق في خلق الله لا تعني بالضرورة نقطة في الزمان النسبي للإنسان موضوع الموت، بمعنى أن نقطة نهاية الأجل علمها الله منذ الأزل وسطرت في اللوح المحفوظ في علم الله وتقديره، لكن في منظورنا نحن البشر هذه النقطة في الزمان النسبي هي عمر الإنسان الذي يقاس بمقياس الزمان من سنين وأيام. على كل حال الآجال هي ترتبط بالكثير من العوامل الأخرى مثل الرزق المكتوب، عمل الإنسان وغيرها، لكن تقديرها في نهاية المطاف هو بيد الله عز

وجل. عودة إلي الزمان كعامل محدد للوفاة، سنجد أن القرآن الكريم قد زخر بالعديد من الآيات التي قدمت لنا هذا الأمر كي نفهمه. أولى هذه الآيات في قول الله عز وجل (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (145) سورة البقرة). هذا الأجل كما قلنا كتب في الأزل ولا يعرف موعد انقضائه إلا الله عز وجل، ومما يدل على ذلك أن الله عز وجل شبه النوم بالموت (وهو ما سنتطرق له لاحقاً) إلا أن النوم يختلف عن الموت أن الميقات الزماني للموت لم يحن بعد في حال النوم، فيقول رب العزة (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (42) سورة الزمر)، ومثل ذلك في قوله سبحانه وتعالى (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (60) سورة الأنعام). هذه الآية من سورة الأنعام بالتحديد تؤكد لنا مرة أخرى أهمية سياق الموت وأهمية توفر العوامل مجتمعة لحدوث حالة الموت، فالإنسان بشكل عام حين ينام فإنه يكون قد دخل في حالة الوفاة (كما نصت الآية) وهي مرحلة ما قبل الموت، لكن ولكون أن الميقات الزماني أو عامل الزمن لم يتواقت بعد مع بقية العوامل فإن الإنسان لا يموت بل يظل في حالة وفاة حتى يستيقظ من النوم.

هذا العامل الزماني يفسر لنا أيضاً عدد من الآيات في القرآن الكريم، مثل قصة قوم سيدنا موسى في الآيات من سورة البقرة في قول الله سبحانه وتعالى (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56) سورة البقرة)، وكذلك في قصة عزير عليه السلام كما هو مشهور في التفاسير وذلك في قول الله عز وجل (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259) سورة البقرة). في كلا الحالتين سنجد أن الله عز وجل بعث بني إسرائيل وكذلك عزير عليه السلام من موتهم وذلك لحكمة العلم الذي قضى الله بتعريفهم إيه باختلاف القصتين، لكن حقيقة عودتهم إلى الحياة تدل على أن الأجل الذي

قضاه لههم الله في هذه الحياة الدنيا لم يكن قد انقضى بعد، لذا كان لابد لهم من العودة إلى الحياة، والله أعلم.

سنجد كذلك هذا المفهوم يساعدنا في محاولة فهم قضية خلافية وجدلية كبيرة حول حقيقة وفاة السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، الخلاف الذي سنتطرق له في هذا المقام هو حول كون أنه مات أم لم يمت. كما ذكرنا في مواضع سابقة أن الوفاة لا تعني بالضرورة الموت ما لم يحدث اكتمال الأجل بالفعل، لذا سنجد أن الكثير من الأنبياء والرسل عليهم السلام ورد في ذكرهم إما حقيقة أنهم ماتوا أو انقضى أجلهم، عدا سيدنا عيسى عليه السلام الذي وردت الآيات في شأنهم بقطعية الوفاة وليس الموت أو انقضاء الأجل. ولنبدأ مثل مع ذكر سيدنا سليمان إذ قال الله عز وجل في شأنه (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14) سورة سبأ)، فقال رب العز بانه قضى عليه بالموت. ومثل ذلك في ذكر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (34) سورة الأنبياء)، ومثله وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144) سورة البقرة). أما في شأن سيدنا عيسى عليه السلام سنجد أن ما جاء في القرآن الكريم حوله يتناول ما حدث على أنه وفاة وليس موتاً، والوفاة هي مرحلة من مراحل الموت ولكنها ليست الموت بعينه. والأمر الثاني فيما نلاحظ أن الآيات أتت بصيغة الفعل ولم تأتي بصيغة الوصف أو الاسم، بمعنى أن الآيات أخبرت عن دخول سيدنا عيسى في حالة وفاة لكنها لم تشير إلى أنه توفى بالفعل أي أنه وصل إلي مرحلة خروج الروح، وهذا أمر مهم للغاية. يقول الله عز وجل (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55) سورة آل عمران)، ومثل ذلك (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ

سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) سورة المائدة)، وأخيراً في قول الله عز وجل (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) سورة النساء). ثم تأتي الآية الأخيرة التي تؤكد أن ما حدث لنبي الله عيسى عليه السلام هو وفاة وليس هو الموت على لسانه عليه السلام في قول الله عز وجل (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) سورة مريم). سنحاول لاحقاً الإشارة مرة أخرى لهذه القضية المهمة في عقيدة المسلمين وتوضيحها بشكل مفصل بأذن الله. وبالعودة إلى موضوعنا الأساسي، فإننا نؤكد على أهمية معرفة مفهوم الميقات الزماني للموت لحدوث السياق الذي يحدث فيه الموت.

3. الفاعل والمسبب:

لكي يقع أي حدث فلابد له أن يقع بفعل من فاعل، وحدوث الموت هو كذلك في مفهومه. الله عز وجل قدر فينا الموت بتقديره وجعل منه سنته في خلقه، قال عز وجل (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (57) سورة العنكبوت)، وكما قدر الله عز وجل لنا الموت سنجد أنه قد جعل الأمر فيه له عز وجل من قبل ومن بعد، قال عز وجل (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28) سورة البقرة)، فهو الذي يحي وهو الذي يميت بإذنه (.وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (145) سورة آل عمران). لكن مما نعلم بالضرورة أن الله عز وجل قد وكل علينا ملك من ملائكته ليقوم بمهمة قبض الأرواح أو لتحقيق مرحلة الوفاة التي تبدأ ببداية إخراج الروح من الجسد وتنتهي بانفصال الروح عن الجسد، وقد قال الله ذلك صراحة في الآية (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11) سورة السجدة)، أو في قوله عز وجل (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ

(50) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (51) سورة الأنفال)، ومثل ذلك في قوله عز وجل وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (61) سورة الأنعام). وهذا الأمر هو جانب مهم للغاية في عقيدة المسلم، حيث أن الذي يحي ويميت هو الله عز وجل لا غيره، أم ما يفعله ملك الموت أو من يعاونه من الملائكة هو أن يقوموا بإخراج الروح التي هي من أمر الله لا لغيره (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85) سورة الإسراء).

الفاعل في حدوث الموت هو الله عز وجل بإرادته عز وجل لا ينازعه في ذلك أحد من خلقه، أم توكيل عملية إخراج الروح أو التسبب في الموت من قبيل القتل أو المرض أو غيرها مثلاً ما هي إلا أسباب يقدرها الله عز وجل لتكملة السياق الذي يحدث فيه الموت. وما قصة أصحاب البقرة من بني إسرائيل إلا خير دليل علي ذلك، فقد تسبب أهل المقتول في موته بالقتل، لكن إرادة الله شاءت أن تعلمهم أن الله عز وجل بيده أن يحيه ثم يميته مرة أخرى، قال عز وجل (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73) سورة البقرة)، وكذلك قصة جالوت وداؤود عليه السلام في ذات السورة، حيث جعل الله عز وجل داؤود سبباً لموت جالوت، قال سبحانه وتعالى (فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) سورة البقرة). وقد يأذن الله لمن دونه من خلقه أن يحققوا فعل الموت أو الحياة لحكمة يعلمها هو، وكان ذلك شأنه مع سيدنا إبراهيم وسيدنا عيسى عليهما السلام. قال الله عز وجل (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260) سورة البقرة)، وكذلك في قوله سبحانه وتعالى (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (110) سورة المائدة).

أما في شأن القتل فكثيرة هي الآيات التي تناولت هذا المفهوم، حيث أن فاعل عملية القتل ليس هو بالضرورة من يحقق عملية الموت، فشأن الموت هو بيد الله لا لغيره (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) سورة آل عمران)، ففي هذه الآية يثبت الله عز وجل علي الشهداء أنهم قتلوا لكن في ذات الوقت نفى عنهم أنهم قد ماتوا كما نظن نحن من المنظور المجرد لعملية الموت. وهذا هو بالتأكيد حال الدهريون من غير المؤمنين في فهم شأن الموت فيظنون أن الدهر أو الطبيعة أو غيرها من المسببات هي التي تقود إلى عملية الموت، لكن الله يصحح لهم ولنا هذا المفهوم فيقول رب العزة (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (24) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (25) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (26) سورة الجاثية).

ما نستخلصه من هذا الجانب أن تحقيق حال الموت هو شأن الله عز وجل في خلقه ولا لسواه، لكن الله عز وجل قد يقدر أن يجعل من أسباب الموت ما قد يكون علي يد مسبب مما خلق سواء أن كان ملك من الملائكة، أو بواسطة قاتل، أو بسبب المرض، أو غير ذلك والأمثلة كثيرة.

4. المفعول به:

سياق الموت بالضرورة يقتضي أن يكون هناك ميت يموت، وهو بالتأكيد شيء بديهي. الميت في سياق القرآن عني به عدد ممن يمكن وصفهم بالأموات. بدءً بمن يموت من أهل الدنيا، مروراً بكفار الدنيا، ثم من يموت في القتال أو بسبب المرض أو غير ذلك من الموتى ممن سنتعرف عليهم في الباب. ولعل القارئ الكريم قد يتساءل لماذا قدنا المفعول به كأحد العوامل لحدوث الموت؟ ونجيب على ذلك في ثلاثة محاور، الأول متصل بالعامل السابق الذي مررنا عليه في وجود المسبب مثلاً في حدوث القتل، فالقاتل قد يقتل القتيل كما في المعارك مثلا، لكن ذلك لا يعني أن هناك ميت كما رأينا في حالة الشهادة، ومثل ذلك في قوله عز وجل (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (154)

سورة البقرة)، المحور الثاني يتصل بالموت المعنوي (على أقل تقدير في مفهومنا نحن البشر). فقد وصف القرآن الكريم الكفار بالموتى في عدة مواضع (وهو ما سنتناوله لاحقاً)، لكن يبقى السؤال هنا هل هم بالفعل أموات؟ أم أنهم في عداد الأموات؟ المحور الثالث هو ذات المفعول به، فهل الموت يكتب على الأنفس كما ذكر الله عز وجل ذلك في الكثير من المواضع في القرآن الكريم، أم أن الموت هو موت الأجساد التي ترتبط بالنفوس؟ وهذا جانب فلسفي كبير للغاية لا نود أن نسهب فيه في هذا المقام، ونود أن نفرد له مساحة منفصلة بإذن الله. لكن ما نود أن نشير إليه في هذا المقام أنه بعيداً عن هذه النقاط الجدلية، فإن حدوث الموت كحالة لابد لها من مفعول به، ولنطلق عليه كما درجنا منذ البداية الإنسان.

5. الفعل:

أخيراً لابد للفاعل أن يفعل فعلاً، وللمفعول به أن يفعل به شيئاً ما. الفاعل (الذي هو الله تقدس عز وجل) هو من يُميت، والإنسان هو من يموت. الفعل في الإماتة أو الموت هو من أكثر عوامل الموت صعوبة في الفهم والتحقيق، وقد حاول الكثير من العلماء سواء في مجال علوم الدين والقرآن والحديث أو في مجال علوم الطب والأحياء أن يفهموا كيفية حدوث هذا الفعل الذي يؤدي إلى الموت، لكن الشاهد يدل على أن كل ما قد علمناه حتى الأن وكل ما أخبرنا به الله عز وجل في القرآن الكريم لا يعدو أن يكون وصف لعملية الفعل الذي يحدث. وربما وددنا أن ترك ذكر الفعل في نهاية هذه العوامل الخمسة المطلوبة لحدوث حالة الموت لكون أن الفعل مرتبط بمراحل الموت التي سنتناولها لاحقاً. والفعل كما قلنا هو مرتبط بالفاعل لا بالمسبب أو المحفز في حدوث الفعل لذا سنجد أن الله عز وجل قد نسب دائماً الفعل (يميت) في القرآن الكريم لذاته العلية دون سواه، قال عز وجل (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29) سورة البقرة)، وكذلك قوله عز وجل (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158) سورة الأعراف)، وغير ذلك في الكثير من الأمثلة).

هذه العوامل الخمسة مجتمعة لابد من تحققها في آن واحد كي تحدث عملية الموت، عملية التحقق هذه تبدأ مع بداية فعل الموت والمتمثلة في بداية خروج الروح وتنتهي بعملية انفصال الروح عن الجسد في المفعول به. بداية حال الموت وهي ما سنطلق عليه مرحلة ما قبل الموت تنتهي عنده مرحلة الحياة وعند بداية حالة الموت تتوقف الأعمال والنوايا ولا يعود لا قيمة، قال الله عز وجل (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100) سورة المؤمنون).

مراحل حالة الموت

حالة الموت والتي تتحقق بوقوع فعل الموت هي حالة يصعب على الكثيرين تخيلها وتخيل كيفية حدوثها، وليس كاتب الكلمات ببعيد عن ذلك. لكن من يستعين بالقرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة قد يجد في ذلك بعضاً من العلم مما قد يعينه على فهم هذه الحالة ووضعها على أقل تقدير في بناء صورة لها أبعاد مختلفة من منظورنا المادي أو في بعض الأحيان التخيلي. وقد وجدنا أن مما يسهل علينا فهم مراحل الموت أن نقسم هذه المراحل إلى ثلاثة أجزاء على النحو التالي:

- أولاً: مرحلة ما قبل الموت، وقد نسميها أيضاً مرحلة ما قبل الإماتة.
- ثانياً: مرحلة وقوع الموت، وقد نسميها أيضاً مرحلة الإماتة.
- ثالثاً: مرحلة ما بعد الموت، وقد نسميها أيضاً مرحلة ما بعد الإماتة.

هذه المراحل الثلاثة هي بالقطع ليست بمعزولة عن بعضها البعض بل هي متداخلة بشكل كبير جداً بحيث من الصعوبة بمكان أن نقول ان هذه بداية مرحلة ونهاية أخرى، لكن لتبسيط عملية فهمنا لحالة الموت فقد رأينا أن نتبع هذا التقسيم الذي سيساعدنا لاحقاً في دراسة علاقة الموت بالحياة.

1. المرحلة الأولى للموت - مرحلة ما قبل الموت:

تبدأ عملية الموت بمرحلة ما قبل الموت أو ما قبل الإماتة وهي ما يطلق عليها أيضاً الوفاة بالتقاء العوامل الخمسة لحدوث حالة الموت كما ذكرنا من قبل. وتبدأ هذه المرحلة مع بدء عملية تنفيذ فعل الموت والذي يبدأ كما ذكر في كثير من الآيات مع بداية عملية إخراج الروح، مروراً ببقية الأحوال التي يمر بها المفعول به مرحلة بداية انفصال الجسد فعلياً عن الروح. بداية انفصال الروح عن الجسد هي بداية وقوع الموت وتنتهي بتحقيق انفصال الجسد عن الروح. لحظة الانفصال هذه تجعل المفعول به قد دخل فعلياً في مرحلة ما بعد الموت أو ما بعد الإماتة.

حال إدراك الموت للمفعول به:

هذه الحالة ذكرت في القرآن الكريم في عدد كبير من المواضع، وقال الله عز وجل عنها الكثير بهدف التذكير بأن الموت لابد أن يدرك الإنسان ويلحق به أينما كان وفي وقت تمام الأجل لا قبل ولا بعد. ولعلنا نأخذ بعض الأمثلة على ذلك في قول الله عز وجل (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8) سورة الجمعة)، ومثل ذلك في قول الله سبحانه وتعالى (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133) سورة البقرة)، ومثله (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (100) سورة النساء)، وغير ذلك الكثير من الآيات. هذه المرحلة من مراحل الموت يكون فيها الأنسان في كامل وعيه وإحساسه وإدراكه العقلي، والدليل على ذلك أن الإنسان يكون مدركاً لما يحدث بعد ذلك من أحوال الموت، وحديثه مع الملائكة وتفكره مع ذاته وندمه كما سنطرق لذلك لاحقاً، فهو يعلم أنه في حالة الموت ويدرك تماماً ما يمر به.

مرحلة رؤية ملك أو ملائكة الموت:

رؤية ملك الموت أو معاونيه من الملائكة هي المرحلة التي تلي مباشرة معرفة الإنسان بأنه في حالة وفاة وأنه مقبل علي الموت، وهي ما يؤكد له هذه الحالة، وكما نعلم من بعض أحاديث النبي صلاة ربي وسلامه عليه أن المتوفى يشاهد ملك الموت (فقد أخرج أبو نعيم في الحلية بسند ضعيف عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: احضروا موتاكم، ولقنوهم لا إله إلا الله، وبشروهم بالجنة ، فإن الحليم من الرجال والنساء يتحيرون عند ذلك المصرع، وإن الشيطان لأقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع ، والذي نفسي بيده؛ لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، والذي نفسي بيده؛ لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يألم كل عرق منه على حياله)، وقد ضعف الألباني هذا الحديث إلا أن ذلك لا يتنافى مع إمكانية حدوثه. ففي آثار عديدة نجد من يقول إن ملائكة الموت تظهر للإنسان المؤمن في هيئة طيبة غير التي يظهرون فيها للإنسان الكافر والظالم. ومن آيات القرآن الكريم ما قد يشير إلى ذلك مجرد الإشارة، وإن لم يكن النص بيناً حول تحقيق رؤية الملائكة، قال الله عز وجل (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (51) سورة الأنفال).

حال التفكر في الحياة:

حين يوقن المتوفى أن أمر الموت واقع لا محالة فإنه يبدأ في التفكر في حاله، وتمر خلاصة حياته أمامه في لحظات ويدرك حينها ما هو مئاله في الاخرة. يقول الله عز وجل (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28) سورة النحل)، وهذا حال الكفار الظالمين، أما حال المؤمنين الطيبين (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32) سورة النحل). التفكر في حال الحياة والوصول إلي مرحلة الحسرة والتحسر هي مصير الكفار والعصاة من المسلمين. فالعاصي من المسلمين لسان حاله يقول (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56) سورة الزمر)، وأما حال لسان الكافر (أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57) سورة الزمر)، وكلاهما يعرض عليه مقعده من النار ويبشر بالعذاب في الاخرة (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً

فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (58) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (59) سورة الزمر).

حال التمني:

الحال الذي يلي حال التفكر في الحياة يقود المتوفى إلى حال التمني، وتكون الأماني في تلك اللحظات مرتبطة بما قدم الإنسان من عمل، وأكثر ما ورد عن هذه الحالة في القرآن هي حال الكفار أو العصاة حيث يتمنون أن يعودا إلى الحياة الدنيا ليعملوا عملاً صالحاً لما تيقنوا من أن علمهم الذي قدموه ليس خيراً لهم. يقول الله عز وجل (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100) سورة المؤمنون) وهذا هو حال الكافر، أما العاصي من المسلمين فينزع إلي التوبة، ولكن هيهات أن تقبل التوبة في تلك الحالة (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (18) سورة النساء)، أو يقول آخر (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (10) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (11) سورة المنافقين).

الأحوال التي مررنا عليها سابقاً (أي حال إدراك الموت للمتوفى، حال حضور ملك الموت، حال التفكر وحال التمني) هي ما يمكن أن نطلق عليه مرحلة اليقين، وهي مرحلة ما قبل الموت أو المرحلة الأولى من مراحل الموت والتي بنهايتها يكون الإنسان قد أيقن بعدة أشياء وفق ما قدم من عمل، مرحلة اليقين كما قلنا سابقاً تقتضي الإدراك العقلي والحسي التام للمتوفى لما يحدث حوله وإن كان في غيبوبة، فهي تعد بمثابة المرحلة الأخيرة في الحياة الدنيا ويكون الإنسان مازال حياً بكل ما تحمل الكلمة من معنى. يقول رب العزة عن هذه المرحلة في كتابه العزيز (وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (47) سورة المدثر).

2. المرحلة الثانية للموت - مرحلة وقوع الموت أو الإماتة:

تبدأ هذه المرحلة كما سنرى لاحقاً بلحظة مناداة الملائكة أو ملك الموت علي وجه التحديد للنفس أو الروح للخروج من الجسد، وتنتهي هذه المرحلة بالخروج الفعلي للروح من جسد الإنسان.

حال مناداة النفس من قبل الملائكة:

بعد مرور المتوفي بمرحلة ما قبل الموت أو مرحلة اليقين تبدأ بعدها مباشرة المرحلة الثانية وهي مرحلة الموت أو مرحلة الإماتة. مرحلة الموت تبدأ بمناداة ملائكة الموت للروح أو النفس للخروج من الجسد، وهو جزء مما أوكل الله عز وجل إلى ملائكة الموت في فعل الإماتة. فالله عز وجل هو الذي (يميت) وهو ما لا شك فيه، لكنه عز وجل أوكل للملائكة الكرام وعلى مقدمتهم ملك الموت أن يقوموا بفعل الإماتة فيقول رب العزة في محكم التنزيل (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11) سورة السجدة). فتنادي الملائكة على النفس أو الروح، ويقول الله عز وجل عن ذلك في مناداة النفس الطيبة للمؤمن (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي (30) سورة الفجر)، أما حال الكافر والظالم لنفسه فيقول عنه عز وجل (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ أَيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93) سورة الأنعام).

حال نزع الروح من أجزاء الجسد:

بمجرد مناداة الملائكة للروح أو النفس تبدأ النفس في تلبية هذا النداء وتبدأ حالة نزع الروح من أجزاء الجسد. خروج الروح من الجسد هي ذروة فعل الإماتة وذروة عملية الموت. وقد قدم لنا القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتناول هذا الجانب الخفي من شأن الإنسان. ولتبسيط هذه الحالة فإننا سنقوم بتقسيم هذه الحال إلى ثلاثة أجزاء مرتبطة مع بعضها البعض ومتداخلة في ذات الوقت. وذلك يتضمن حالة النزعات والسكرات، حالة الموت الجسدي، ثم حالة الموت الحسي. وفيما يلي نقوم بعرض سريع لهذه الأحوال.

حال النزعات والسكرات:

لعل هذه الحالة هي أشهر ما يعرف عن الموت، يقول عنها رب العزة في محكم التنزيل (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19) سورة ق). في هذه الحالة يكون جسد الإنسان مازال في حالته الحيوية التي تمكنه من الإحساس بالمشاعر وبالألم، وهو ما يقتضي أن يكون المخ، الذي هو مقر الإحساس، أن يكون ما يزال حياً ويعمل وإن كان ذلك في أدنى نشاطه. حال النزعات والسكرات هو حق على إنسان، وما من إنسان وإن كان نبياً بما فيهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، إلا ومرت عليه حالة النزعات والسكرات. وقد ورد في الأثر الكثير من أحوال الأنبياء والسلف في هذه المرحلة. فيُروى عن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه لما مات قال الله عز وجل له: (كيف وجدتَ الموتَ؟ قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: كسفود جُعِل في صوف رَطب ثم جُذِب، فقال له رب العزة: أما إنَّا قد هوَّنا عليك). ويُروى عن سيدنا موسى عليه السلام أنه لما صارت رُوحه إلى الله عز وجل قال له ربه: (يا موسى، كيف وجدتَ الموت؟ قال: وجدتُ نفسي كشاة حيَّة بيد القصَّاب تُسلَخ))، أما في شأن سيد الخلق أجمعين فروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين يديه رَكوةٌ أو علبة فيها ماء، فجعل يُدخِل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: ((لا إله إلا الله، إن للموت سكرات))، ثم نصب يده فجعل يقول: ((في الرفيق الأعلى))، حتى قُبِضَ ومالت يده". أما مما جاء في القرآن الكريم حول هذه المرحلة، فيقول الله عز وجل تشبيهاً (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (20) سورة محمد)، وكذلك في قوله سبحانه وتعالى (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ

تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (19) سورة الأحزاب).

حالة الموت الجسدي وحالة الموت الحسي:

هاتين الحالتين هما من مراحل الموت التي ساعد الطب في الفترة الأخيرة في استقصائهما ومعرفة ما يحدث للمتوفي. وهاتان الحالتان تتبعان بداية خروج الروح من الجسد والتي تبدأ من بداية أطراف الأرجل وتمتد العملية تباعاً من الأرجل إلى بقية الجسد. وهناك العديد من مقاطع الفيديو المتاح والتي تصور هذه العملية بواسطة كاميرات متخصصة، ويمكنك عزيزي القارئ الاطلاع عليها لفهم هذا الجانب. أما ما يلي الموت الجسدي فهو مرحلة الموت التي يكون فيها الجسد قد توقف تماماً عن العمل من حيث توقف القلب عن ضخ الدم والرئتين عن تبادل الأوكسجين، تختلف الفترة التي تدوم فيها هذه المرحلة من شخص إلى أخر، فمن الناس من يظل يعاني فيها لأيام وشهور، ومنهم من تستمر لديه حتى دقائق قليلة، يتحدد ذلك بناء على النقطة التي يتوقف فيها القلب والرئتان تماماً. بنهاية هذه المرحلة يكون الإنسان قد بدأ الدخول في مرحلة الموت الحسي أو الموت الدماغي كما يسميه البعض. مع نهاية مرحلة الموت الجسدي وحتى تلك اللحظات يكون المخ ما زال محتفظاً بخلاياه سليمة، لكن مع توقف الأوكسجين تبدأ هذه الخلايا بالموت تدريجياً وتستمر هذه المرحلة لمدة خمس دقائق فقط وهي أقصى مدة يستطيع فيها المخ أن يصمد دون أوكسجين. هذه هي المدة اللازمة لما يبدو، والله أعلم، لتحقيق المرحلة أو الحالة التالي في عملية الموت وهي عملية مفارقة الروح للجسد.

حال ذوق الموت:

هذه الحالة هي لحظة مفارقة الروح للجسد وهي لحظة الخروج الفعلية للروح من جسد الإنسان، وقد أورد علمائنا الأجلاء الكثير من التفاسير حول تسمية هذه الحالة من الموت ووصفها بأنها عملية ذوق، فيقول الله عز وجل (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ

(185) سورة آل عمران)، وكذلك في قوله عز وجل (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (57) سورة العنكبوت). ولك عزيزي القارئ أن تطلع على التفاسير الموجود في عدد من الكتب والمواقع الإلكترونية حول شأن هذه التسمية. في هذه الحالة من حالات الموت لا يكون هناك إدراك عقلي ولا إحساس بدني فالجسد عاد كما خلقه الله في أول مرة عبارة عن قطعة من لحم وعظم لا روح فيها ولا في أجزائها، ويصف رب العزة هذه الحالة بقوله سبحانه وتعالى (لَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (85) سورة الواقعة)، وكذلك لسان حال ملك الموت في هذه اللحظة والتي هي نقطة اللاعودة فلا ينفع فيها طيب ولا طبيب فالجسد مات والروح أصبحت فقط في هيئة معلقة وترتبط مع الجسد في نقطة الحلقوم أو التراق كما وصفها القرآن الكريم (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28) سورة القيامة). ونعتقد حسب فهنا للنصوص القرآنية أنها اللحظة التي يأمر الله فيها عز وجل بوقوع عملية الموت، فيقول الله عز وجل (هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (68) سورة غافر). وحينها يسلم الميت الروح لبارئها ويكون حينها في عداد الأموات. بنهاية هذه الحال يكون الميت قد عبر المرحلة الثانية من مراحل الموت وهي مرحلة وقوع الموت.

3. المرحلة الثالثة للموت - مرحلة ما بعد الموت أو الإماتة:

المرحلة الثالثة من مراحل الموت تبدأ مباشرة بعد نهاية عملية خروج الروح من الجسد وهذه المرحلة فيها حالين لا نعلم عنهما شيئاً كثيراً، فالقرآن الكريم لم يتناولها إلا بالإشارة، وقال رب العزة في هذه الآيات أننا لم نعلم عنها شيئاً وذلك في بالغ حكمته.

حال الدخول في النشأة الأخرى:

حين يسلم الميت الروح ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفا بالحياة فيعرض عليه ما لم يستطع أن يراه وهو في حالة الحياة وتتغير طبيعته كإنسان من حال إلى حال اخرى، بل وتتغير الأشياء من حوله في حال يعلمها الله عز وجل وحده لا ندري عنها شيئاً، فيقول الله عز وجل (نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ

فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (61) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (62) سورة الواقعة). وعلى كثرة الأحاديث التي وردت عن النبي عليه الصلاة والسلام والتي منها ما هو صحيح ومنها ما هو دون ذلك، نترك لك عزيزي القارئ البحث عن معنى النشأة الأخرى التي وردت في القرآن الكريم والتي يدخل فيها الميت من الناس، لعل الله يفتح عليك من علمه في هذا الباب وتعلمنا من ذلك بإذن الله.

حال عالم البرزخ:

قال رب العزة جل شأنه في محكم تنزيله في هذه الحال (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100) سورة المؤمنون)، وقيل إن المقصود بالبرزخ هو الحاجز بين شيئين وهو العالم المتوسط بين الموت والحياة، وقيل إن الانسان يعذب أو ينعم حسب اعماله وقد استدل القائلون في هذا بقول الله عز وجل (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46) سورة غافر)، وقيل إنه حجاب بين الميت والرجوع إلى الدنيا، وقيل أن المقصود به القبر. ما يلينا في هذا المقام أن البرزخ هو بلا شك مرحلة تلي مرحلة وقوع الموت فعلياً على الإنسان المعين وهي مرحلة تسبق مرحلة الحياة الآخرة، وهذا ما نود التركيز عليه في هذا الجانب.

علاقة الموت بالحياة

ازدواجية ذكر الموت والحياة في حديث الناس قد تعطي الانطباع العام بالتضاد بمعنى أن الموت كظاهرة أو حدث هو في معناه عكس الحياة وأن نهاية أحدهما هو بداية الآخر، في حين أن القرآن الكريم لم يتناول أبداً هذا المعنى بل جاءت كل الآيات لتجسد المعنى المنظومي في العلاقة، وحتى في الآيات التي جاء فيها المعني المرتبط بالتضاد كما سنتناول ذلك لاحقاً، سنجد أن المعنى ورد بحيث يقدم للعقل الإنساني أمثلة تمكنه من فهم المراد. العلاقة المنظوماتية تعني بالضرورة التراكب أي انه لا موت بلا حياة ولا حياة بلا موت، ولن يستقيم معني خلق الإنسان ان لم يكن هذين الحدثين ضمن محددات منظومة الخلق. وسنتناول هذه العلاقة بشيء من التفصيل بإذن الله. ولعل أكثر الآيات دلالة على العلاقة بين الحياة والموت من مفهوم التراكب لا من مفهوم التضاد هي قول الله عز وجل في محكم التنزيل (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27) سورة آل عمران). وهذه الآية بالتحديد من الآيات التي تخبرنا عن حقيقة أن الموت والحياة إنما هما في دورة مستمرة لا ينفصلان عن بعضهما البعض. الله عز وجل بحكمته ربط بين دورة النهار والليل بدورة الموت والحياة ليوضح لنا حقائق مهمة قد تكون غائبة عنا في فهمنا لهذه العلاقة، إلا أن هذا بالطبع لا يتعارض مع التفسيرات التي قدمها علمائنا الإجلاء في شأن هذه الآيات وهي متعددة بالطبع ويمكنك عزيزي القارئ أن تطلع عليها في مقام اخر. ولعلنا بعد بحث وتقصي في هذا الباب وجدنا أن فهم العلاقة بين الموت والحياة يمكن تبسيطه في شكل توضيحي يمكننا من ربط هاتين الحالتين مع بعضهما البعض. هذا الشكل التوضيحي المبسط هو بالضرورة قاصر حيث أنه كما ذكرنا سابقاً يقدم الموت والحياة بمعزل عن نظام الكون ككل.

الأشكال التوضيحية التالية تمثل المفهوم العام الذي يمكن أن نبني عليه فهمنا للعلاقة بين الموت والحياة مع تفصيل المراحل والحالات التي تتضمنها هذه المراحل، بالتركيز أكثر على مراحل الموت باعتباره موضوع هذا المبحث الذي بين أيديكم.

(تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27) سورة آل عمران)

(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29) سورة البقرة).

(يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (19) سورة الروم).

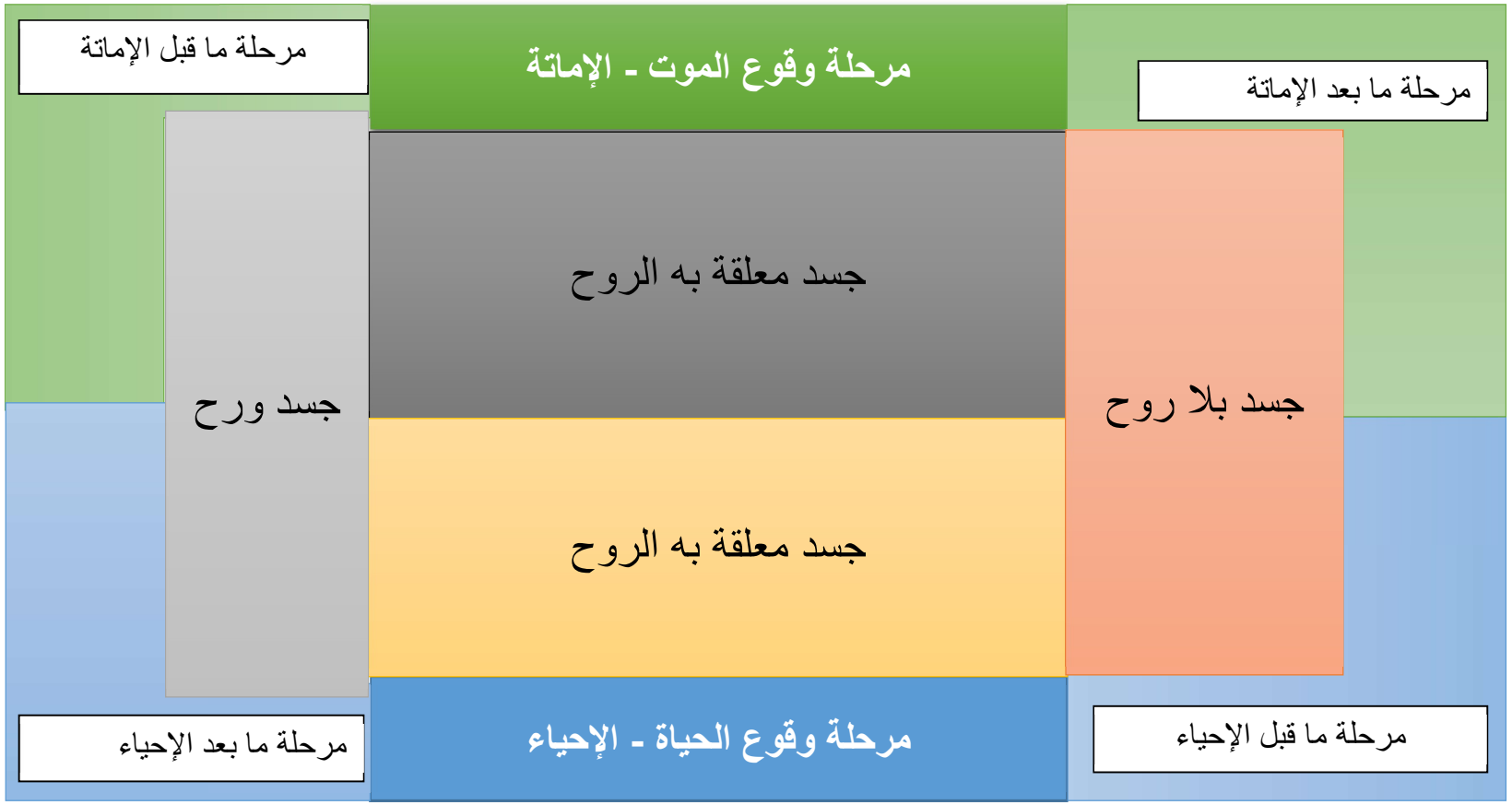
مرحلة ما قبل الإماتة
مرحلة وقوع الموت - الإماتة
مرحلة ما بعد الإماتة
جسد ورح
جسد معلقة به الروح
جسد بلا روح
جسد معلقة به الروح
مرحلة ما بعد الإحياء
مرحلة وقوع الحياة - الإحياء
مرحلة ما قبل الإحياء

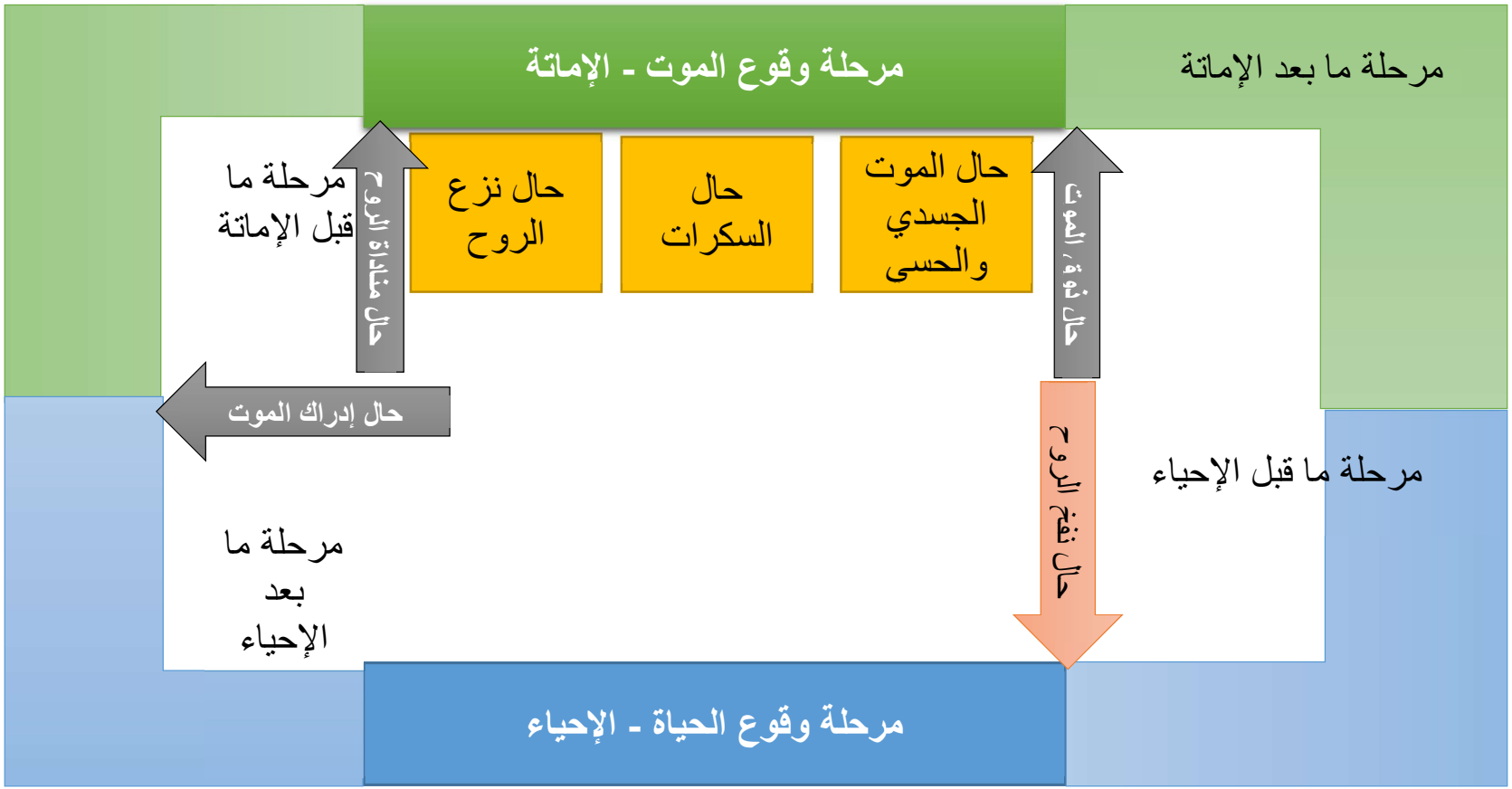
مرحلة وقوع الموت - الإماتة
مرحلة ما بعد الإماتة
مرحلة ما قبل الإحياء
مرحلة ما بعد الإحياء
مرحلة ما قبل الإماتة
حال الموت الجسدي والحسي
حال السكرات
حال نزع الروح
حال نفوذ الموت
حال مفارقة الروح
حال إدراك الموت
حال نفخ الروح
مرحلة وقوع الحياة - الإحياء

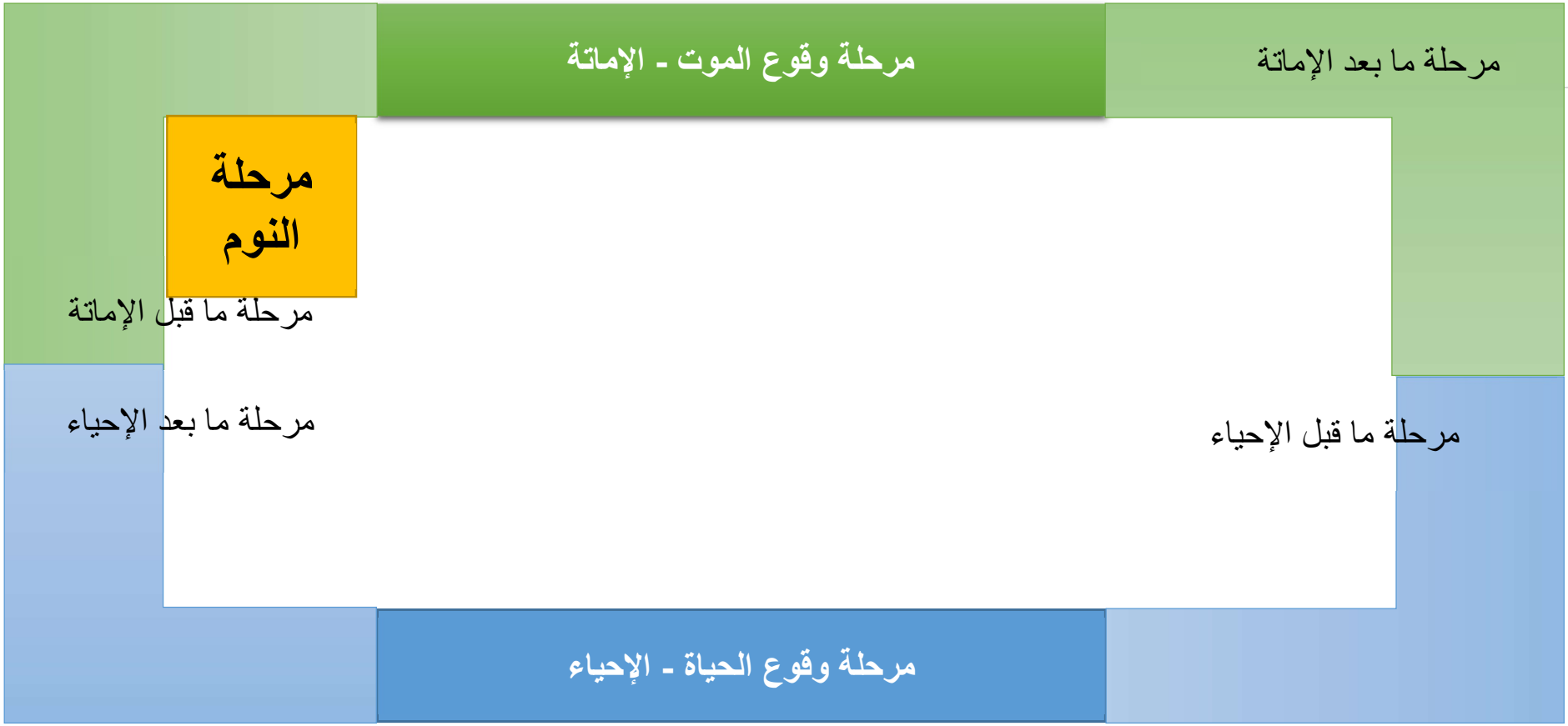

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (42) سورة الزمر)

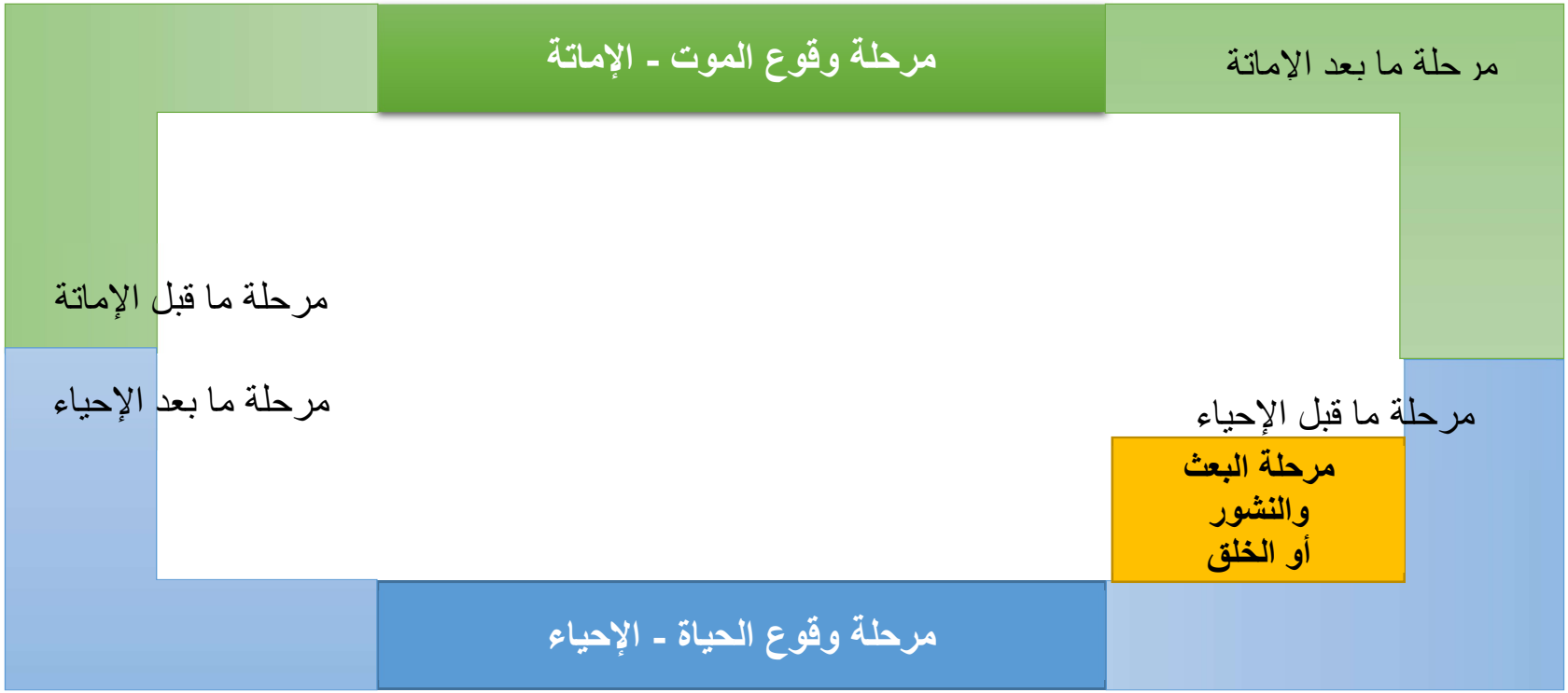

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56) سورة البقرة)،

قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (26) سورة الجاثية).

(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28) سورة البقرة)،

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (7) سورة الحج).

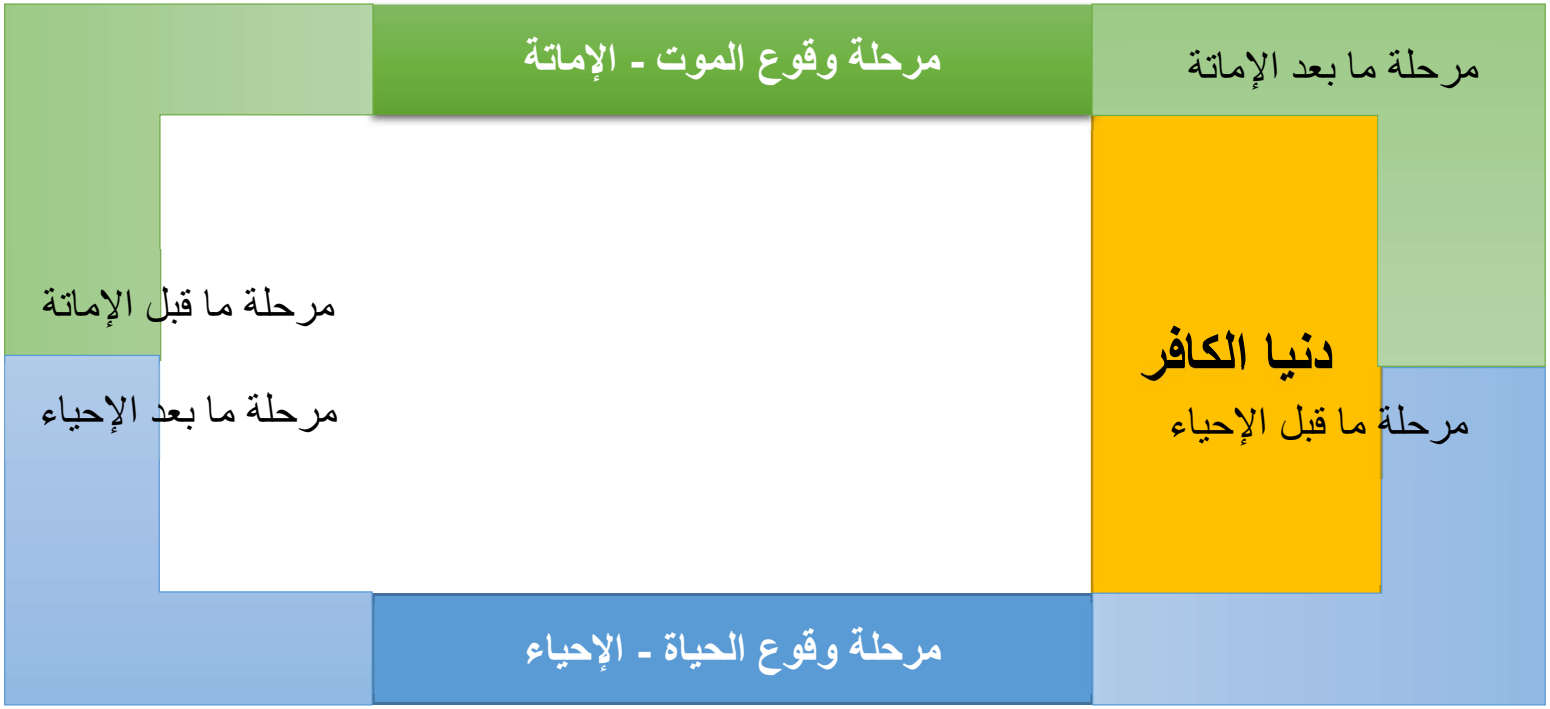

(وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21) سورة النحل).

(وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (69) لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (70) سورة يس).

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (76) وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (77) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (78) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (79) إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (80) سورة النمل).

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (51) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (52) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (53) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (54) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (55) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (56) فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (57) سورة الدخان).

(إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76) سورة طه).

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (102) سورة الأنبياء).

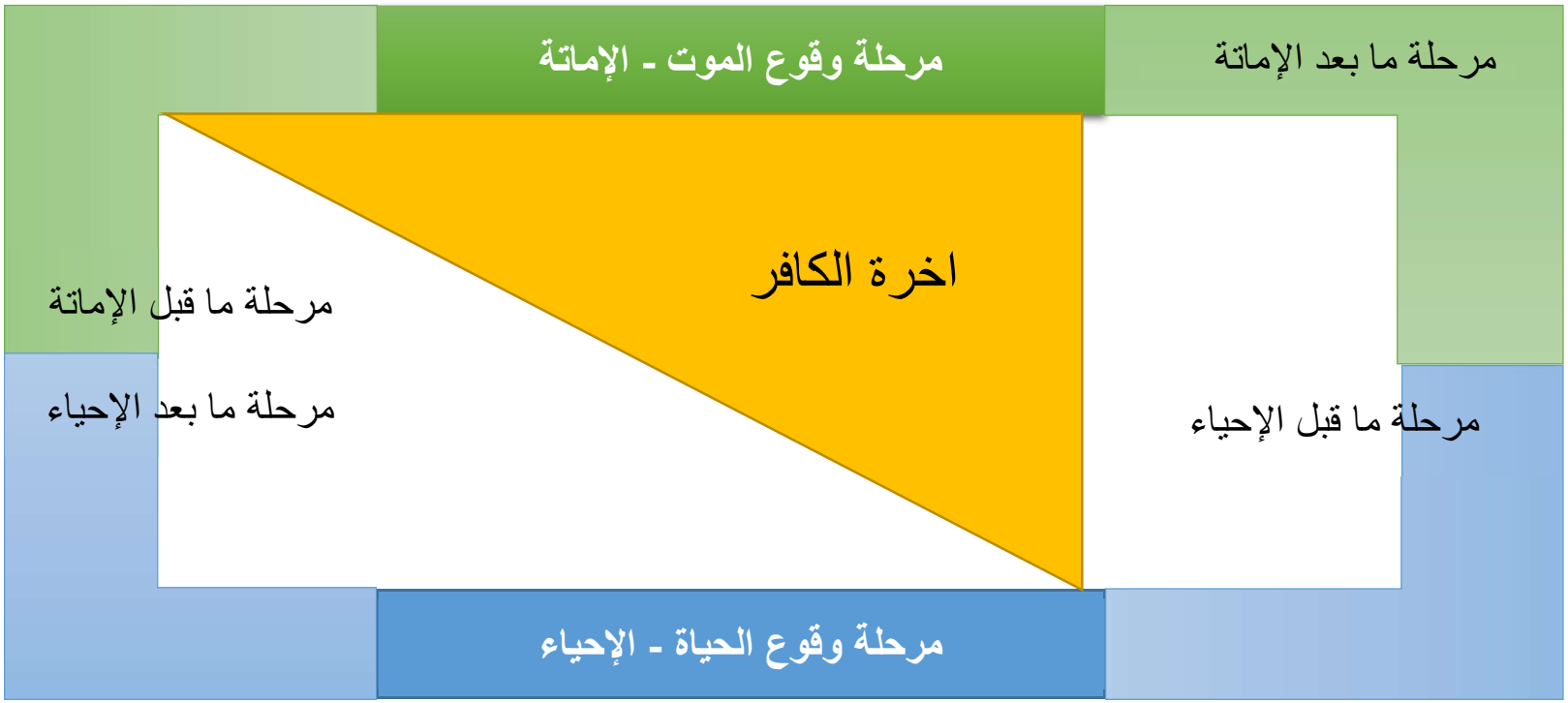

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (13) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (14) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (15) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (16) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (17) سورة إبراهيم).

(إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76) سورة طه).

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36) سورة فاطر).

الموت والحياة معنى مرتبط فقط بالحياة الدنيا (الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (12) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا (13) سورة الأعلى).

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (51) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (52) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (53) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (54) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (55) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (56) فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (57) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (58) فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (59) سورة الدخان).

(إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76) سورة طه).

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (102) سورة الأنبياء).

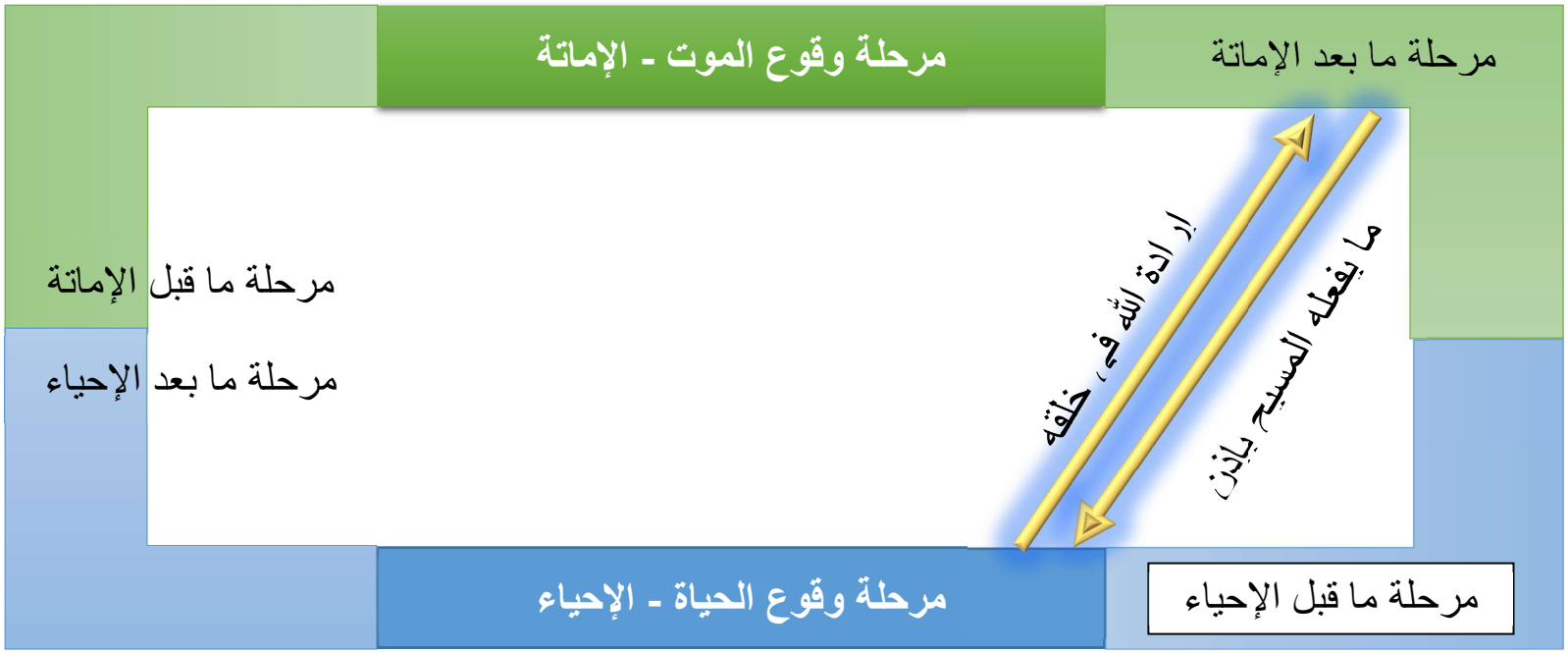

(وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49) سورة آل عمران)،

والعكس في قول الله عز وجل

(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260) سورة البقرة).

أنتهى المقال

د. أمجد محمد إدريس